المتشائم

تأليـف
د / حسام العقاد

رسـوم
محمود الأعصر

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

غادر حامد قريته الصغيرة، حاملا حقيبة بها بعض الملابس، وكل ما يملك من مال، وركب القطار المتجه إلى العاصمة، وجلس داخله وهو يقول فى سره:

« بسم الله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنى أسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ماترضى، اللهم سهل لنا الطريق، واطو عنا بعده ، اللهم أنت الخليفة فى الأهل، والصاحب فى السفر»[1].

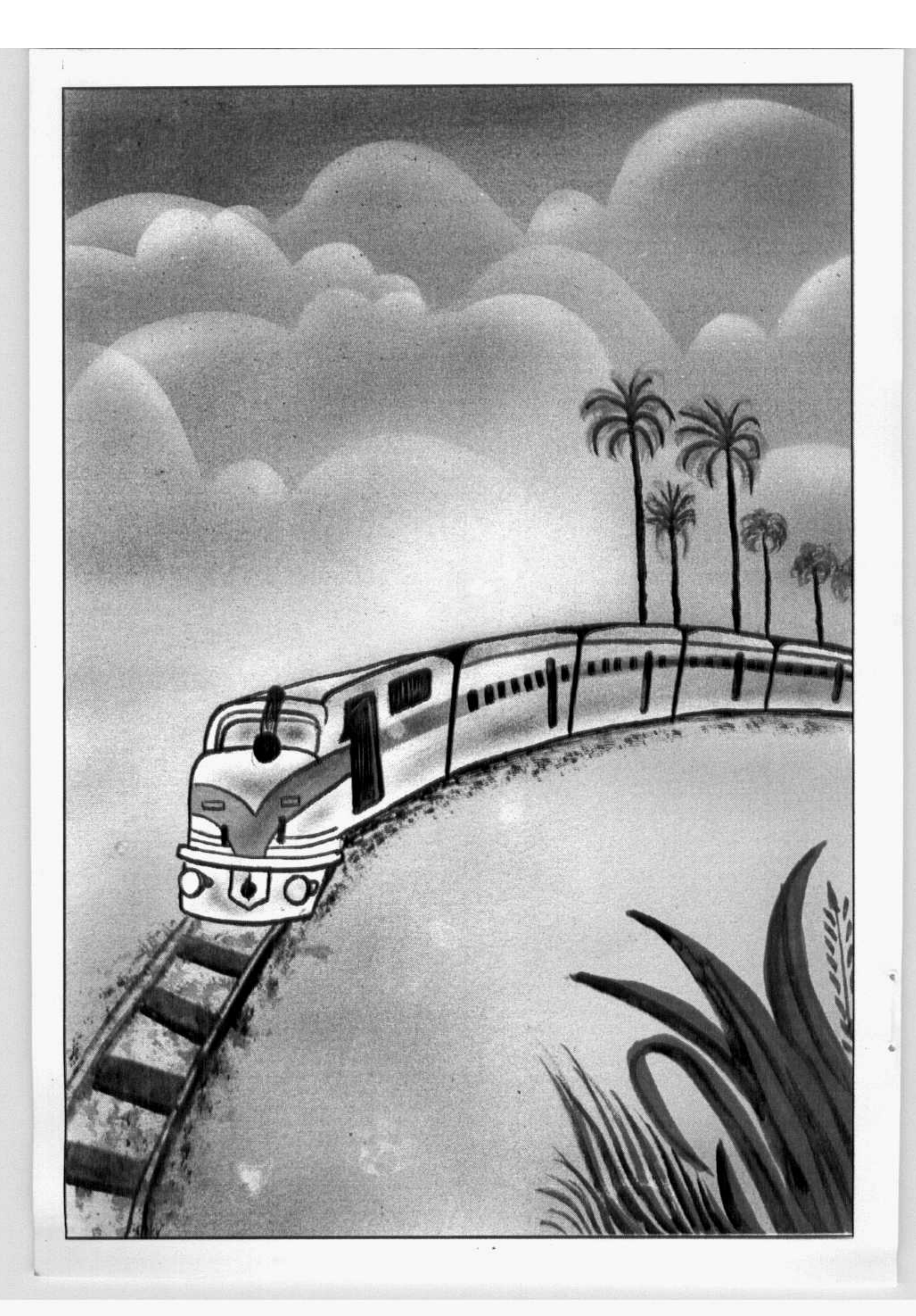
ونظر من نافذة القطار، وشرد ببصره، وراح يفكر فى الصفقة التى يوشك أن يعقدها، لشراء آلات زراعية حديثة، تزيد من إنتاج الأرض، وتوفر التعب والجهد.

ووصل القطار إلى المحطة، وغادره حامد، قاصدا منزل صديقه القديم أحمد، الذى استقبله فى بشاشة وترحاب، وجلسا معا، فقال حامد:

ـ لقد جمعت كل نقودى، ونقود أقاربى وجيرانى، لشراء هذه الآلات الحديثة.

---

(١) دعاء السفر: عند العودة من السفر، نقول نفس الدعاء، ونزيد عليه: **« آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون»**. **حديث صحيح**: رواه مسلم.



قال أحمد فى ابتهاج: ما أجمل أن نستغل العلم الحديث فى حياتنا، إنه يجعل حياتنا أفضل وأسهل.

وجلسا يسترجعان ذكريات الطفولة فى القرية، وأعد أحمد الطعام، وجلسا يأكلان، وسأله أحمد:

ـ هل نشترى هذه الآلات اليوم.

هز حامد رأسه نفيا، وقال: غدا إن شاء الله.

ثم أضاف مستدركا:

ـ كان الموعد اليوم، ولكنى أجلته للغد.

ـ لماذا؟

ـ اليوم الأربعاء.

قطب أحمد مندهشا، وترك طعامه، ونظر إليه بعينين متسائلتين فقال حامد موضحا:

ـ هذه النقود هى كل ما نملك أنا وأقاربى وجيرانى، ولابد أن أحرص عليها.

وضع أحمد لقمة فى فمه، وقال:

ـ وما علاقة يوم الأربعاء بحرصك على المال؟

أجاب حامد فى بساطة كأنه يقرر حقيقة لا جدال فيها:

ـ إنى أتشاءم من هذا اليوم.

همّ أحمد أن يعترض، وأن يشرح لصديقه أن التشاؤم



يخالف تعاليم الإسلام، ولكنه وجده متعبا، فقرر أن ينتظر حتى الصباح. وأنهى طعامه، وقال فى سره:

ـ الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة(١).

وانتهى حامد من طعامه، فشكر صديقه، ودعا قائلا:

« **اللهم أطعم من أطعمنى، واسق من سقانى** ».

وذهب كل منهما إلى فراشه ليستريح.

وفى الصباح استيقظ حامد فزعا على صوت تحطم زجاج، وقفز من فراشه مذعورا، وسأل أحمد فى توجس:

ـ ماذا حدث؟ ما هذا الصوت؟

أجاب أحمد: لقد تحطمت المرآة، هل أيقظك الصوت؟

قال حامد فى مرارة:

ـ تحطمت.. تحطمت.. ياله من فأل سيىء.

وجلسا على مائدة الإفطار، ولاحظ أحمد شرود ذهن حامد، فسأله متعجبا: أكل هذا الحزن بسبب تحطم المرآة.

قال حامد فى حزن:

ـ بل لسبب أخطر أحمد.. سأعود إلى قريتى.. لن أشترى الآلات.

---

(١) دعاء بعد الطعام، من قاله غفر له ماتقدم من ذنبه.
حديث صحيح: أخرجه أبو داود والترمذى.



اتسعت عينا أحمد فى دهشة وهو يسأله:

ـ لماذا؟ وماهو الشيء الخطير الذى تتكلم عنه ياحامد؟

أجاب حامد فى فزع: اليوم هو الثالث عشر من الشهر، ومن الخير ألا تعقد أى صفقة فى هذا اليوم.

قال أحمد فى ضيق:

ـ ماهذه الخرافات ؟ كل هذا مخالف لتعاليم الإسلام.

اعترض حامد قائلا:

ـ ولكن حدثت مصائب كثيرة فى هذا التاريخ.

ـ إنها مصادفات، فالأحداث السارة والسيئة، تحدث فى كل يوم، وفى كل تاريخ، ولكن لايعلق بالذهن إلا ماحدث فى هذا اليوم.

ـ أتعرف رأى رسول الله ﷺ فى التشاؤم؟

حدجه حامد بنظرة اهتمام، فأردف قائلا:

ـ قال النبى ﷺ: **«لا عدوى ولا طيرة، ويعجبنى الفأل، سأله الصحابة: مالفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»**[1].

والعدوى هى أن ينتقل داء معين من رجل مصاب إلى آخر سليم.

أما الطيرة فهى مايتشاءم به الإنسان من الفأل السيىء.

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخارى(١٠/ ٥٧٧٦).



13
١٤
الخميس

أما الفأل فهو الكلمة الطيبة والظن الحسن لأنه يدل على حسن الظن بالله سبحانه وتعالى.

وقديما، فى الجاهلية، كان الناس إذا أرادوا أن يقدموا على عمل ما، أطلقوا طيرا فى السماء، فإذا ذهب فى اتجاه معين، استبشروا وأقدموا على عملهم، وإذا خالف هذا الاتجاه، تشاءموا، وتراجعوا عن تنفيذ عملهم.

وجاءت التسمية بالتطير من هذا العمل، وهى مخالفة للإسلام، لأنها تعطل الإنسان عن أعماله، فقد يتشاءم من شيء، ويظن أنه سيىء، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا.

وقد ذكر الله تعالى الطيرة فى القرآن فى قوله الكريم: ﴿**فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه**﴾[1].

فقوم فرعون كانوا يتربصون لموسى عليه السلام، فإذا أصابهم خير فى أنفسهم وأموالهم، ظنوا أن الخير نابعا من نفوسهم، وإذ أصابهم شر، تشاءموا من موسى وقومه.

وهذه الآية الكريمة تدل على أن التشاؤم كان من صفة الكفار، وهم آل فرعون.

والتشاؤم صفة مكروهة فى المسلم..

ومن منعه التشاؤم عن عمل ما، فقد أشرك بالله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الأعراف : الآية: ١٣١.



سأله حامد: كيف؟

- قال رسول الله ﷺ: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**». سأله الصحابة: فما كفارة ذلك؟

قال: «**أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طيْر إلا طيرك، ولا إله غيره**»[1].

فحكم الذى يمتنع عن عمل أو سفر أو صفقة بسبب أنه تشاءم من رقم مثل رقم١٣، أو يوم، أو قطة سوداء، أو صوت مثل صوت البومة، يصل إلى حد الشرك بالله، لأنه اعتقد أن هذه الأشياء تحدث له الضرر، بينما الخير والشر من قضاء الله، ولابد أن يؤمن المسلم بهما، وهو بامتناعه قد يمنع عن نفسه خيرا عظيما أعده الله له.

فمن تشاءم وهو يقدم على عمل، فليقل هذه الكلمات:

« **اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**» ثم يتوكل على الله، ويقدم على عمله.

أو يستخير الله، إذا توجس شرا عند قيامه بعمل ما، ويصلى صلاة الاستخارة.

قال حامد فى ندم:

- استغفر الله العظيم.. جزاك الله خيرا ياصديقى.

ونهض واقفا، وقال فى حماس:

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠).



ـ هيا بنا لنشترى الآلات، لن أتشاءم بعد الآن إن شاء الله.

وغادرا المنزل، وتوجها إلى معرض الآلات الزراعية، واختار حامد الآلات التى يريدها، وفحصها بعناية، وفتح حقيبته ليخرج حافظة النقود، واتسعت عيناه فى ذهول، عندما لم يجدها، فصاح:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله.. نقودى.. نقودى..

سأله أحمد فى فزع: ماذ حدث؟

قال حامد وهو يرتجف: يبدو أننى سرقت.

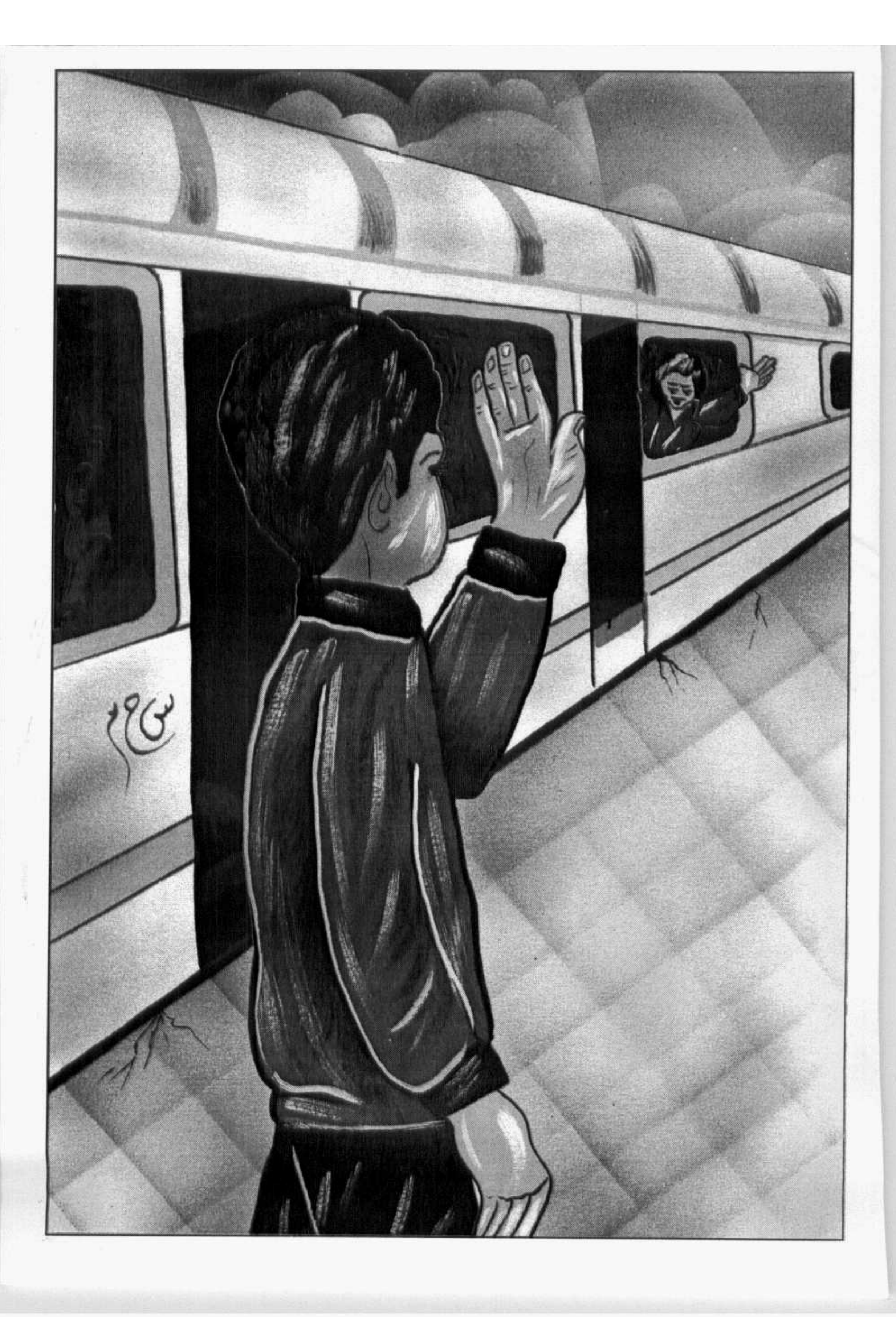
وابتعد عن المعرض وهو حزين، وتبعه أحمد وهو يتساءل فى سره:

ـ كيف حدث هذا؟ وهل سيرجع حامد السرقة إلى يوم ١٣ أم لإهماله فى الحفاظ على نقوده؟

وكأنما قرأ حامد أفكاره، فقال:

ـ لا تظن أننى نادم الآن على عزمى على شراء الآلات رغم اليوم الذى كنت أتشاءم منه، لقد صححت لى أفكارى، وأقنعتنى بما لايدع مجالا للشك فى مخالفة التشاؤم للإسلام، ولكنى ألوم نفسى لتقصيرى فى الحفاظ على النقود.

وعادا إلى المنزل، وما كاد حامد يصل إلى فراشه، حتى أشار بيده إليه، وهو يقول فى فرحة غامرة:



ـ انظر يا أحمد، هاهى النقود.

والتقط حافظة النقود الضخمة من فوق الفراش، وهو يقول فى سعادة:

ـ الحمد لله.. الحمد لله.. لقد نسيتها هنا.. ولم أفقدها كما ظننت.

واحتضنه أحمد فى سعادة وهو يقول:

ـ لقد امتحنك الله، ولكنك ثبت أمام المحنة، ففزت ياحامد فأعاد إليك نقودك، وفزت بالشىء العظيم وهو الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

وأسرعا إلى المعرض لشراء الآلات.

وفى المساء كان أحمد يوصل صديقه حامد إلى محطة القطار، ويودعه قائلا:

« **أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**»(1).

ورد حامد قائلا:

«**أستودعكم الله الذى لاتضيع ودائعه**»(2).

وركب حامد القطار، وتابعه أحمد ببصره وهو يبعد ولوح له بيده، حتى غاب القطار عن أنظاره.

تمت بحمد الله.

---

(1) دعاء المقيم للمسافر. **حديث صحيح**: أخرجه أحمد وأبو داود.

(2) دعاء المسافر للمقيم. **حديث صحيح**: أخرجه أحمد وأبو داود.